البابُ الخامِسُ والعِشْرُونَ

في الفرق بين الزمان والدهر، والأجل والمُدَّة، والسَّنَة والعام وَمَا يَجْري مَعَ ذلك

«الفرق» بين الدَّهْرِ والمُدَّة أنَّ الدَّهْرَ جمعُ أوْقات متواليةٍ مختلفة كانت أو غير مختلفة، ولهذا يقال: الشتاءُ مدةٌ ولا يقال دَهْرٌ لتساوي أوقاته في برد الهواء وغير ذلك من صفاته، ويقالُ للسنين دَهْرٌ لأن أوقاتها مختلفةٌ في الحرِّ والبردِ وغير ذلك، وأيضًا من المدة ما يكون أطْوَلَ من الدهر، ألَا تَراهُمْ يقولون: هذهِ الدُّنْيَا دُهُورٌ، ولا يقال الدنيا مُدَدٌ؟ والمدَّةُ والأجَلُ متقاربان فكما أن من الأجلِ ما يكونُ دهُورًا فكذلك المدةُ.

«الفرق» بين المُدَّة والزَّمَان أن اسْمَ الزمان يقع على كل جمع من الأوْقَاتِ وكذلك المدَّة إلَّا أنَّ أقْصَر المدة أطولُ من أقصر الزمان، ولهذا كان معنى قول القائل لآخر إذا سَأَلَهُ أن يمهله أمْهِلني زَمَانًا آخرَ غير معنى قوله مدة أُخْرى لأنه لا خلاف بين أهل اللغة أن معنى قوله مدة أخرى أجل أطول من زمن، وممَّا يوضِّحُ الفرق بينهما أن المدةَ أصلُها المد وهو الطُّول ويقال مُدَّةٌ إذا طوله إلا أن بينها وبين الطول فَرْقًا وهو أن المدة لا تقع على أقصر الطول ولهذا يقال مَدَّ الله في عُمْرك، ولا يُقال لوقتين مدة كما لا يقال لجوهرين إذا ألفا أنَّهما خط ممدودٌ ويقال لذلك طول فإذا صَحَّ هذا وجب أن يكون قولنا الزمان مدة يراد به أنه أطول الأزمنة كما إذا قلنا للطويل: إنه ممدودٌ كان مرادنا أنه أطول من غيره فأمَّا قول القائل آخر الزمان فمعْناه أنه آخرُ الأزمنة لأنَّ الزمان يقعُ على الواحد والجمع فاسْتثقَلُوا أن يقولوا آخر الأزمنة والأزمان فاكتفوا بزمانٍ.

«الفرق» بين الزَّمان والوقْتِ أن الزمانَ أوقاتٌ متواليةٌ مختلفة أو غير مختلفة فالوقتُ واحدٌ من المقدر بالحركة الواحدة من حركَات الفَلك وهو يجري من الزَّمان مَجْرى الجزءِ من الجسم والشَّاهِدُ أيضًا أنه يقال زمانٌ قصيرٌ وزمانٌ طويلٌ ولا يقال وقتٌ قصيرٌ.

«الفرق» بين الوقْتِ والميقاتِ أنَّ الميقَات ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعْمال، والوقتُ وقتُ الشيء قدره مقدر أو لم يقدره ولهذا قيل مواقيت الحجِّ للمواضع التي قدرت للإحْرام وليس الوقتُ في الحقيقة ساعةٌ غير حركة الفلك وفي ذلك كلامٌ كثير ليس هذا موضع ذكره.

«الفرق» بين العَام والسَّنة أن العامَ جمعُ أيام والسَّنةُ جمع شهور، ألَا تَرى أنه لما كان يقال أيام الرنج قيل عام الرنج ولما لم يقل شهور الرنج لم يقل سنة الرنج ويجوز أن يُقال العام يفيد كونه وقْتًا لشيء والسنة لا تفيدُ ذلك ولهذا يقال عَامُ الفيل ولا يقالُ سنة الفيل ويقال في التاريخ سنة مائة وسنة خمسين ولا يقالُ عام مائة وعام خمسين، إذْ ليس وقتًا لشيء مما ذكر من هذا العدد وهو هذا فإنَّ العام هو السنة والسنة هي العام وإن اقتضى كل واحد منهما ما لا يقتضيه الآخر

مما ذكرناه كما أن الكل هو الجمع والجمع هو الكل وإن كان الكل إحاطة بالأبعاض والجمع إحاطة بالأجزاء.

«الفرق» بين السَّنَة والحجَّة أن الحجَّة تفيدُ أنها يحج فيها والحجة المرةُ الواحدة من حجَّ يحج والحجة فعلة مثل الجلسة والقعدة ثم سميت بها السَّنة كما يسمى الشيء باسم ما يكون فيه.

«الفرق» بين الحِين والسَّنة أن قولنا حين اسم جمع أوقاتًا متناهية سواء كان سنة أو شهورًا أو أيامًا أو ساعات، ولهذا جاء في القرآن لمعانٍ مختلفة، وبينه وبين الدهر فرق وهو أن الدهرَ يقتضي أنه أوقات متوالية مختلفة على ما ذكرنا ولهذا قال الله عز وجل حاكيًا عن الدهريين[1] ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[الجاثية:٢٤] أي يهلكنا الدهر باختلاف أحواله، والدهْر أيضًا لا يكون إلا ساعات قليلة ويكون الحين كذلك.

«الفرق» بين الدَّهْرِ والعصْرِ أن الدَّهْرَ هو ما ذكرناه، والعَصْرُ لكل مختلفين معناهما واحد مثل الشتاء والصَّيْف والليلة واليوم والغَداة والسحر، يقال لذلك كله العصر، وقال المبرد في تأويل قوله عز وجل ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾[العصر:١-٢] قال: العَصْرُ ههنا الوقت، قال ويقولون: أهل هذا العصر كما يقولون أهل هذا الزمان، والعصْرُ اسم للسنين الكثيرة، قال الشاعر:

أَصْبَحَ مِنِّي الشَّبابُ قَدْ نَكرَا ... إنْ بَانَ مِنِّي فَقَدْ ثَوَى عَصْرَا

وتقول عاصرتُ فلانًا أي كنت في عَصْره أي زمن حياته.

«الفرق» بين الوقْتِ والسَّاعةِ أن الساعةَ هي الوقتُ المنقطعُ من غيره، والوقتُ اسمُ الجنس، ولهذا تقولُ: إنَّ الساعةَ عندي ولا تقول الوقْتُ عِنْدِي.

«الفرق» بين البُكْرَةِ والغَدَاةِ والمسَاءِ والعِشَاءِ والعَشِيِّ والأصيل: أن الغداةَ اسم لوقت والبُكْرةُ فعلة من بَكَرَ يبكُر بكُورًا، ألَا تَرَى أنه يقال: صَلاةُ الغَدَاةِ وصَلَاةُ الظُّهْر والعَصْر، فتضاف إلى الوقْتِ ولا يقالُ صلاة البكرة وإنما يقال جاء في بكرة كما تقول جاء في غَدْوة، وكِلاهُما فعل مثل النَّقْلةِ ثم كثر استعمال البُكْرَة حتى جرت على الوقْتِ وإذا فاء الفَيءُ سمِّي عشيةً ثم أصيل بعد ذلك، ويقال فَاء الفَيْءُ إذا زاد على طُولِ الشجرة ويقال أتيتُه عَشِيَّةَ أمْسِ وسآتيه العَشية ليومكَ الذي أنت فيه وسآتيه عَشِيَّ غَدٍ بغير هاء وسآتيه بالعشيِّ والغَداةِ أي كُلَ عشي وكل غداة، والطفل وقت غروب الشمس والعشاء بعد ذلك وإذا كان بعيد العصر فهو المساء ويقال للرجل عند العصر إذا كان يبادر حاجة قد أمسيت وذلك على المبالغة.

«الفرق» بين الزَّمَان والحِقْبَةِ أن الحِقْبَة اسم للسنة إلا أنها تفيد غير ما تفيده السنة وذلك

(١) الدهريُّون: هم منكرو الخالق سبحانه وتعالى، فهم قوم ملحدون، ولا يؤمنون باليوم الآخر، وينتسبون إلى فرقة «الدَّهْرية».

أن السنةَ تفيدُ أنها جمعُ شهور والحِقْبةُ تفيد أنها ظرفٌ لأعمال ولأمور تجري فيها مأخوذةٌ من الحقيبة وهي ضربٌ من الظروف تتخذ من الأدم يجعل الرابك فيها متاعه وتشد خلف رَحْله أو سَرْجه. وأما البرهة فبعض الدهر ألا ترى أنه يقال برهة من الدَّهْر كما يقال قطعة من الدهر وقال بعضهم هي فارسية مُعرَّبة.

«الفرق» بين المُدَّةِ والأجَلِ أن الأجلَ الوقت المضروب لانْقِضَاءِ الشَّيْءِ ولا يكون أجلًا بجعل جاعل وما علم أنه يكون في وقت فلا أجلَ له إلا أن يحكم بأنه يكون فيه وأجلُ الإنسان هو الوقت لانقضاء عمره، وأجَلُ الدَّيْن محلُّه وذلك لانقضاء مدة الدَّيْن، وأجَلُ الموْتِ وقت حلوله وذلك لانقضاء مدة الحياة قبله فأجل الآخرة الوقت لانقضاء ما تقدم قبلها قبل ابتدائها ويجوز أن تكون المدةُ بين الشيئين بجعل جاعل وبغير جعل جاعل، وكلُّ أجلٍ مدةٌ وليس كلُّ مدةٍ أجلًا.

«الفرق» بين النهار واليوم أن النهار اسمٌ للضياء المنفسح الظاهر لحصول الشمس بحيث ترى عينها أو معم ضوئها، وهذا حد النهار وليس هو في الحقيقة اسم للوقت، واليوم اسم لمقدار من الأوقات يكون فيه هذا السَّنَا، ولهذا قال النحويون: إذا سِرْتَ يومًا فأنت موقت تريد مبلغ ذلك ومقداره وإذا قلت سرتُ اليوم أو يوم الجمعة فأنت مؤرِّخٌ، فإذا قلت سرتُ نهارًا أو النهار فلست بمؤرخ ولا بموقت وإنما المعنى سرتُ في الضياء المنفسح ولهذا يضاف النهار إلى اليوم فيقال سرت نهار يوم الجمعة، ولهذا لا يقال للغَلَسِ[1] والسحر نهار حتى يستضيء الجو.

«الفرق» بين الدَّهْرِ والأبَد أن الدهرَ أوقاتٌ متواليةٌ مختلفة غير متناهية وهو في المستقبل خلاف قط في الماضي وقوله عز وجل: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [النساء:٥٧] حقيقة وقولك: افعل هذا مجاز والمراد المبالغة في إيصال هذا الفعل.

«الفرق» بين الوقْتِ وإذْ وهما جميعًا اسم لشيء واحد حتى يمكن أحدهما ولم يتمكَّن الآخر أو مضمن بالمضاف إليه لكون البيان غير معناه بحسب ذلك المضاف إليه والوقت مطلق.

البابُ السَّادسُ والعِشْرُونَ

في الفَرْقِ بين النَّاسِ والخَلْقِ، والعالَمِ والبَشَرِ، والوَرَى والأنَامِ وما يَجْرِي مَعَ ذَلكَ والفَرْقِ بين الجَمَاعَاتِ وضُروبِ القَرابَاتِ، وبين الصُّحْبَةِ والقَرَابَةِ وما بسَبيلِ ذَلكَ

«الفرق» بين الناس والخلق أن الناس هم الإنسُ خاصةً وهم جماعة لا واحد لها من لفظها،

(١) الغَلَسُ: ظُلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح وفي الحديث: «أن النبي ﷺ يصلي الصبح بغَلَسٍ».